مجلة المجمع العلمي العربي

تموز وآب سنة ١٩٤٥ شهر رجب وشعبان سنة ١٣٦٤

القول في حقوق المرأة (١)

هيأ الخديوي اسمعيل أسباب النهضة النسائية بأن تقدم امراء الشرق العربي بإنشاء مدارس لتعليم البنات في مصر . وجاء بعد زمن محرر المرأة قاسم امين فسقط على كتلة معلمة من النساء المصريات تفهم عنه ما يرمي اليه يوم دعا إلى ما دعا ، وأسفر هذا الانتباه عن إنشاء جمعيات تُعنى بتعليم الأطفال ومؤاساة البائسين والمرضى ، والنظر في مستقبل المرأة نظر من يحسن معرفة الداء ووصف الدواء . وحذت الشام حذو مصر في هذه السبيل فبدأت المرأة تتعلم ، وسبق المسيحيات إلى هذه المقاصد النبيلة ثم كثر عدد المتعلمات من المسلمات فجئن يسابقن من كان لهن فضل التقدم في هذا الباب ، وما انقضى جيل حتى كان العاملات في الجيل التالي يحاولن التعرف بعضهن إلى بعض ، فيعقدن المؤتمرات في مصر والشام ينظرن فيما يرفع من شأنهن وينيلهن حقوقهن ، وأهم مؤتمر لهن عقدنه هذا العام في مدينة القاهرة اشترك فيه نساء الشام والعراق مع نساء مصر وانفض عن قرارات منها النافع المسلم به لإصلاح شأن المرأة ، ومنها ما يضر بها لأنه يخرجها عن طورها ويأتي على جميل خصائصها .

ومن القرارات الصادرة عن هذا المؤتمر ان يصبح النساء ناخبات منتخبات ، يقعدن في مقاعد مجالس النواب ، ويكون منهن الوزيرات والسفيرات والقاضيات ، وكل ما يتولاه الرجال من سياسة الممالك وتدبير الجماهير ، ويستلزم أعصاباً هادئة وشجاعة وقوة ، لم تتصف بها المرأة على غابر الدهر . أردن ان يعاملن على قدم المساواة مع الرجال حذو القذة بالقذه وطلبن مطالب يتعذر تحقيقها ولا تفيد إذا فرض تنفيذها .

(١) محاضرة ألقيت في المجمع العلمي العربي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكانت الجمعية النسائية المصرية الأولى قبل تأليف الاتحاد النسائي في مصر طلبت من حكومتها الحدّ من الطلاق ومن تعدد الزوجات وتعيين سن زواج الفتاة والفتى فصدر القانون على هذا وسجلت به للنساء اللائي سعين لذلك مأثرة وقع الاجماع على استحسانها ، وأثبت النساء أنهن أخذن يفكرن فيما لم يكن جداتهن يفكرن في شيء منه ، وانه اتسع أفقهن للنظر في ما يرفع مستوى بنات جنسهن .

ولم يوفق الغربيون في إخراج المرأة من حظيرة البيت إلى المعمل والحانوت لتكاثرَ الرجال ، وقام في العهد الأخير بعض المذاهب في اميركا وانكلترا والمانيا ينكر المغالاة في الاختلاط ويحرم الرقص والتبذل في اللباس ، ابقاءً على عصمة المرأة وصوناً لها عن التدهور في مزالق الفتنة .

ثم ان الدول التي منحت المرأة حق الانتخاب لم تأت اكثر من إرضاء فريق من المطالبات بهذا الحق الموهوم الذي ما زاد من مكانة المرأة ، وظل الرجال اصحاب الموقف ، ولم يوفق النساء إلا إلى منحهن ما الححن بطلبه من الحقوق اعواماً . فالمرأة التي ظفرت بحق الانتخاب لم تقدم بلادها خطوة إلى الأمام وما دفع حنانها ما حلّ بأهلها من البوائق ، وما استطاعت ابطال الحروب وفض مشاكل الأمم من دون الرجوع إلى السلاح ، ولو كان للمرأة صوت مسموع في سياسة البلاد التي أعطت نساءها حق الانتخاب لخففن من ويلات بلادهن ومنها القضاء على المسكرات التي ضجت من اضرارها شعوب تلك الأقطار .

المرأة امرأة وان البستها ثياب الرجال ووسدت اليها اعمالهم ومهما جهدت لا تحليها بخلق ليس فيها ، ولا تخلق فيها ميزات لم تتميز بها . المرأة كما قالوا ريحانة وليست بقهرمانة ، لم تؤهلها طبيعتها لغير ولادة الأولاد والعناية بتربيتهم وخدمة زوجها والسهر على راحته ، وتولي الخطير والحقير من شؤون بيتها . فروض جسيمة فرضت عليها لو احبت تجويدها لكفتها ان تشتغل معظم ساعات نهارها وزُلَفاً من ليلها . ومن كان عليها مثل هذه التبعة العظيمة كيف تقوى على تولي المصالح العامة فتقضي وتسوس وتشارك الرجال في شؤون اختصوا بها مذ كانت الدنيا . والمرأة اليوم ان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

احست من ضعفها قوة وقامت ببعض الأعمال الوطنية وتعلمت قليلاً بالقياس إلى أمها وجدتها ، فليس معنى هذا انها تصلح للشرطة والدرك والقضاء والادارة ، ولا ان تمارس ركوب الطائرات والغواصات ، وتقود الكتائب وتعبي الصفوف .

وسبيل النساء اليوم في الحرص على الحياة النيابية بدون تعليم سوادهن الأعظم على الأقل ، سبيل من يحاول بلوغ رأس السلم قبل تخطي درجاته الأولى او إنشاء بناء ضخم بدون وضع اساس الطابق السفلي . قلت يوماً لأحد علماء الترك أما بلغك ان مدينتنا ستنار بعد قليل بالكهرباء وتسير فيهـا الحوافل الكهربائية كالعواصم الغربية ؟ فضحك وقال : ان حالكم بهذه الزينة الجديدة تقام بأيدي الغرباء اشبه بامبراطور كوريا يلبس على رأسه تاجاً من ذهب ، ولا سراويلات له تستر عورته ، وكان الأولى يا صاح ان تنظم طرق البلدة اولاً ثم تسير فيها الحوافل الكهربائية . وانا اقول كان الأولى قبل ان تطلب المرأة حق التشريع في مجالس النواب ان تتلافى قصورها المخجل في ميدان العلم والتربية .

كان القائلون في الغرب بوضع المرأة حيث وضعتها الفطرة الى المعقول اكثر من اصحاب الرأي الذين صانعوها وندبوا معها حقها المهضوم ، ولو كان من وراء ما رأوا ثورة هوجاء لا تنجلي عن خير فقد دلت التجارب على ان القوانين الوضعية مهما بلغ من احكامها لا تقوى على القوانين الطبيعية . يزعم الفريق المتطرف ان العالم سيعمه الهناء والسعادة يوم تتم أمنيته في توجيه النساء وجهتهن الجديدة . ويورد الفريق المعتدل في رد رأي المغالين حقائق ما أوسع خصومهم ان ينقضوها نقضاً جيداً ، ويقول ان المرأة تمرض ايام شبابها وكهولتها كل شهر مرضاً تكثر به آلامها ويسوء خلقها وتمرض ايضاً ايام الوحام والنفاس برهة تقطعها عن مباشرة كل عمل ، ومن كانت هذه حالتهـا من الصحة أنى لها ان تقوم بأعباء عظيمة ولها من نفسها ما يشغلها عن كل شيء .

ويقول المتعقلون ان تركيب جسم المرأة مخالف لتركيب جسم الرجل وان المرأة لم تثبت الى الآن كفاية تؤهلها لمباراة الرجل في صراع الحياة فما قام من النساء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عالمة ممتازة ولا شاعرة كبيرة ولا كاتبة عظيمة ولا مخترعة ولا مكتشفة ولم يتعدّ ما تمّ على يدها الأمور البدائية إذا قيس بما أبدعه الرجال من بدائع العلم والأدب والفن والصناعة . فكما انه لم يخرج من صفوفهن العبقريات في هذه الفنون ، لم ينشأ منهن خياطة عظيمة ولا طاهية مبدعة وما زلنا نشهد هاتين الصناعتين المهمتين حكرة في أيدي الرجال ، بل ان الرجال يخترعون للنساء أزياءهن وأساليب زينتهن ، وإذا ادعى مدع ان من النساء من ألفن الكتب ومارسن الأدب فيقال له ان معظم ما عزي الى المرأة من التآليف هو من صنع الرجال ، وما نبغ في فرنسا على اشتهارها بالأدب وانتشار التعليم فيها بين الجنسين غير « مدام دي سيفينه » كتبت بقلمها رسائلها الى ابنتها فعدها العلماء من الأدب الممتع لما تحمل من عواطف عظيمة وما عدا ذلك فكتابات متوسطة وشعر غث .

وإذا زعم بعضهم ان حكومات النساء في بعض ممالك اوربا كانت أرقى من حكومات الرجال ، فذلك لأن حكومات النساء أدارها الرجال من وراء حجاب ، وعلى العكس في حكومات الرجال كثرت فوضاها في بعض الأدوار ، لأن النساء كن يدرنها في غفلة من الرجال .

لم يبرز النساء حتى اليوم في غير تربية الأطفال وقد أثبتن استعدادهن في طب الأمراض النسائية وفي الكيمياء العملية وكن آية في تمريض المرضى وإدارة المستشفيات لما في طبيعتهن من نعومة وصبر وأناة . والرجال لم يوفقوا إلى منافستهن في هذا الشأن ولا يرجى ان يوفقوا لتوقف ذلك على صفات اختص بها النساء دون الرجال .

الأنثى في حاجة شديدة إلى التعليم الابتدائي حاجة الصبي اليه ، على ان يكون تعليمها ملائماً لبيئتها وطبيعتها . لا تعفى من ذلك ابنة المدينة ولا ابنة القرية ، ويقتصر التعليم الثانوي والعالي كما هو الى الآن على فئة منهن لا يتجاوز عدد الآخذات به واحدة في البضعة آلاف إذ ثبت ان معظم من تعلمن التعليم العالي والأوسط ضعف استعدادهن لإدارة المنزل وتربية البنين والبنات ، فخرجن طوعاً أو كرهاً عن غرائزهن ، وفقدن بمظهرهن الجديد دعة البيوت ومتعة الزوجية . وكان من إخفاق النساء في المحاماة والطب دليل ظاهر على ضعفهن وقلة استعدادهن لما خص به الرجال .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تحتاج المرأة إلى إتقان أشغال البيت وهي كثيرة ، والى ان تقيد دخلها وخرجها وإلى أن تنشئ كتاباً بسيطاً الى زوجها وابنها وابنتها وأمها وحماتها وإلى ان تتعلم كل ما يزيد بهجة البيوت كتربية الأزهار والورد والأشجار والبقول وما يوفر لها جانباً من المصروف إذا أحسنت مزاولته كصنع الجبن والقشدة واللبن والسمن وغير ذلك من الصناعات الزراعية . وهي الى هذا تدخل السرور على زوجها وأولادها اذا غنتهم آونات الفراغ بنغمتها وأطربتهم بآلة موسيقية أتقنتها . وعليها ان تعرف ما لها وعليها من الحقوق ، وان تتأدب بأدب الدين وأدب الوطن ، أما حاجتها من الأمور الكمالية فمحدودة وهي في غنية عن ان تجهز بجهاز علمي واسع تتعلم أكثره بالعمل في مراحل حياتها ومنه ما هو اعلق بها من غيره ، والواجب على كل حال أن تكون المرأة قريبة من ذهنية زوجها تعينه على الكدح لها ولأولادها ولا يطيب عيش الزوجين الا بتكافؤهما في المنزلة والثقافة الأولى .

قلت ان العارفين من الغربيين يؤكدون انه لم ينبغ من النساء عندهم من كن من عيار من نبغ من الرجال في جميع مظاهر الحضارة ، والحال كان كذلك في الشرق الاسلامي اي كان النابغات ان صحت تسميتهن بذلك في فن الحديث وهذا يحتاج لحافظة ، وفي الشعر وهذا يحتاج الى عاطفة ، ومن هاتين الخاصتين رزقت المرأة قسطاً عظيماً . وقد شاركن في الموسيقى والغناء مشاركة ما تفوقن فيها على الرجال إلا أنه لم ينشأ منهن فقيهة ولا متكلمة ولا مؤرخة ولا فيلسوفة وكنّ إذا تدخلن في أمور الدولة تميل إلى الانحطاط ولذلك كان عقلاء الملوك يحظرون على نسائهم الاشتراك في ما لا شأن لهن فيه من أمور السياسة .

إن طمع النساء اليوم في إحراز الحقوق السياسية طمع في غير مطمع ، ذلك لأن طبيعتهن ما تبدلت ولن تتبدل ، وليت شعري ماذا يرجى من مجتمع أكثر من تسعين بالمئة من نسائه أميات لا يقرأن ولا يكتبن وإذا كانت نسبة المتعلمين من الرجال اكثر من النساء كيف يستفيد النساء من تشريع جديد يسنّ لإرضائهن فقط وإذا كانت فرنسا واهلها اهلها في تلقف العلم والمعارف وفي الغناء في تحسين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الظن بالنساء لم تقرر مساواة المرأة مع الرجل كيف يرجى الخير لهذا النوع من الحكم عندنا على حين لا يؤمل نزع الأمية من ديارنا قبل مضي قرن . وعجيب كيف نؤخذ بكلام ظاهر البطلان ، ونخدع بالتمويه ، ونفرح بالجديد ولو كان بديهي الضرر ، ولا نتعرف إلى ما بطن وظهر من مشاكلنا ولا إلى الأثر الفعال في نهضتنا .

وبعد فلماذا لم يقل لنا المنادون بإعطاء المرأة حقوقها المدنية على مثال الرجال كيف تمسي حال البيوت بعد انقلابهم الذي يتوقعونه . لا جرم أن الشقاء سيخيم على كل أسرة يشتغل ربانها خارج بيوتهن ، اللهم إلا إذا كان في النية ان يعمدوا إلى دفع أولادهم إلى الحكومات تربيهم تربية مشتركة كأنهم بعض اللقطاء من أولاد النغول لا يذوقون في هذه الملاجئ طعماً لهناءة البيوت ولا يرون أثراً للروابط الروحية بين الأولاد والأبوين .

وإذا كانت هذه البراهين لا تقنع المتحمسين والمتحمسات للدعوة إلى المساواة بين الجنسين فانا نورد بعض ما قاله المنصفون من الغربيين عسى ان يكون منه مقنع .

قال الدكتور روبرتوتش في كتابه رفعة المرأة : Dr. Robert Teutsch Le féminisme ما زالت مسألة إعطاء المرأة حقوقها منذ ثلاثين سنة من الموضوعات الطريفة ، ولو كان الأمر يقف عند حد اعطائها جميع حقوقها ولا سيما السياسية التي لم تهيئها لها طبيعتها ولا خلقها لهان الأمر ولكنهن يقصدن من المطالبة بذلك التفلت من قيودهن ولا سيما قيود البيت والأمومة ، تريد المرأة اسقاط منزلة الرجل وتطمح إلى الاستيلاء على كل عمل لم تخلق هي له . تحاول الابتعاد عن المنزل وإهمال شؤونه والاقلال من الأولاد والقضاء على الأسرة مما ينتهي بانقراض العنصر والجنس ، وبتأثير الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية التي ظهرت في القرن التاسع عشر في معظم البلاد المدنة ولا سيما في فرنسا راجت دعاية المفرطين فكان من ذلك إخراج النساء عن طورهن وحملهن على ان يتناسين عملهن أو يستنكرنه ، فصبغت المرأة بصبغة بشعة عند ارادتها محاكاة الرجل ليكون منها شريكة مبغضة له أحياناً ومنافسة وخصيمة يخشى بأسها . وهناك نساء سطا عليهن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكبر والحقد فاحتقرن الرجل والزوج والولد وهن قادرات على ان يكن طاهيات ووصيفات وساعورات (ممرضات) ودلاكات ومنظفات أيد Manucures ومنظفات أرجل Pédicures وحاسبات وخازنات وكاتبات ومدرسات وبائعات وسمسارات وقصصيات ومحاميات وطبيبات ، ويتوهمن انهن اسمى من الرجال أو مساويات لهم على الأقل ويحاولن ان يقمن مقامه في معاناة سامي الأعمال وهن لسن له خليقات .

وما برح دعاة تحرير المرأة ينادون صاخبين ان المرأة مساوية للرجل وما كان تشريح الجنسين ونفسيتهما وطبيعتهما متشابهة قط واذا كان الحال كما يدعون فلماذا نرى البقرة غير الثور والنعجة غير الخروف واللبوة غير الأسد ، ولماذا يتنامى دعاة هذا التحرير العمل العظيم الذي يؤثر في طبيعة المرأة وعقليتها وما كتب عليها من الحيض الذي يخرجها الى طور غريب وتؤثر ايامه في خلقها ، وبعض الصحيحات منهن او المريضات تعاودهن العادة مرتين في الشهر فيتأثر المجموع العصبي فيهن من هذه الموجات الدموية .

وقد ظهر من أبحاث العلماء في جميع الأمم ان الطبيعتين الأنوثة والذكورة متخالفتان لا في ظواهرهما فقط بل في أعمق تراكيبها ، ويقول الأطباء ان كلاً من الفتى والفتاة ينشأ نشأة طبيعية متخالفة ، يكثر الموت والضعف في الصبيان ويتجلى الذكاء والإحساس والحكمة في الطفلة قبل تجليه في الطفل ، ولا تزال الفروق بينهما تتزايد من الثانية عشرة الى الرابعة عشرة ويبدو في الصبيان الاستعداد لتعلم الحساب والعلوم كما يبدو للفتيات بفضل خصوبة احساسهن جمالُ الانشاء ورقته بالقياس الى خشونة كتابة الصبيان وبعد اجتياز هذه السن الصعبة يطرد ارتقاء الصبيان أما الصبايا فيقفن فجأة مأخوذات بحالة جديدة ، وهي حالة المرأة ، وكثيرات فيهن من يتركن عندئذ كل عمل . وادعى بعضهم ان ذكاءهن يضمحل في ذاك الدور ليقوم مقامه حس ينصرف الى الدلّ والغزل والموسيقى والقراءة وأعمال الاحسان وكثيراً ما يصادف أحسن التلميذات في سن الخامسة عشرة الى السابعة عشرة ممن تأخر نموهن . وبينا يكون البلوغ في الصبيّ داعياً الى توسع فكره وحاملاً له على الاضطلاع بالمسائل الكبرى فوق الطبيعة تشتغل المرأة بنفسها وتمشي مع احساسها ثم تعاني مشاكل الحب والأمومة خلافاً لما ادعته « مدام دي ستال » من ان الأرواح ليس لها جنس معين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد قرر العلماء ان تشريح الجنسين متخالف كل التخالف فالقامة وثقل الجسم أقل في النساء منهما في الرجال بنحو الثلث ، وجماجم البنات أقل استعداداً للنمو وادمغتهن أقل وزناً حتى بالقياس الى الوزن العادي . وقرر العلماء ان حاسة الشم والذوق في النساء اقل مما هي في الرجال ، ولذلك قل ان استخدم ارباب المعامل النساء في الأعمال التي تتطلب التمييز بين الألوان والأذواق مثل التفريق بين اجناس الخمور واصناف الشاي ومراقبة الصوت واصلاح « البيان » قالت « مدام دي رموزا » ان الحس اكثر ملازمة لنا معاشر النساء من الملاحظة واستنتج من هذا ان ذاكرة النساء اقل احاطة بالمسائل من كل وجه من ذاكرة الرجال ، واضطراب المرأة أعظم بكثير من اضطراب الرجل . وتزيد في بعض ادوار حياتها اضطراباً حتى تكون في حالة مرض وغضب ، فتصبح مدة الحمل احياناً كأنها في جنون عارض . وهكذا انفرد الرجل بالذكاء والمرأة بالشعور ، والرجل كل حين يفكر ويقدر والمرأة تشعر وتحس ، فالشعور فيها هو كل ما لها من آيات النبوغ . قالوا ان المولى أبى ان يرزق النساء قرائح لتجمع كل شعلتهن في القلب . والطالبات ينقصهن الاستقلال في الفكر والتعمق فيه فهن آخذات غير موجدات . وقارن بين ثلاثة من الكتاب « بوسويه » و « فلوبير » و « پول ڤاليري » ، وبين ثلاث كاتبات « مدام دي سيفينيه » و « جورج صاند » و « مدام كوليت » فثبت له ان في انشاء الرجال منطقاً سلياً وفكراً مستقيماً كانت منه متانة جملهم ورنة أصواتهم الموسيقية وتساوق المجموع من أقوالهم على خلاف كتابة أولئك الكاتبات العظيمات .

وذكر جان لارناك في كتابه تاريخ الأدب النسوي في فرنسا Jean Larnac : Histoire de la littérature féminine en France

انه لم تبق قلعة للذكور الا وتخطاها النساء في العهد الأخير حتى مدرسة المعلمين العليا منابر الجامعات ولم يبق أمامهن عائق يعوقهن عن التعلم ونشر ما يستهوي قلوبهن ويرضي نفوسهن واصبحن في حل من ان يتعلمن كما يشاء لهن الهوى ، وغدا منهن الأساتيذ والصحافيات ومديرات دور الطباعة واخذن ينافسن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الرجال في جوائز الأدب والمجامع الأدبية العامة والخاصة فتمت لهن كل أدوات الثقافة في بيوت العلم - ولكن القرائح تخلق خارج المدارس وللنساء ان يتوسعن ماشئن وليس في مقدورهن ان ينبعثن الى الحد الذي يطمحن اليه ولا يسرح النساء ويمرحن إلا في ظل الحرية فإذا اخذن من عنان قرائحهن يفقدن اجنحتهن ، ولذا بقين الى أول القرن العشرين يمشين على اثر الرجال ولم يتحررن التحرر المطلوب الا في هذا القرن . حتى لقد قال ستندال ان قلة استعداد المرأة لبلوغ مراتب الكمال في التأليف منبعث من كونها ما جسرت ذات يوم ان تتحلل من قيودها الا نصف تحلل ومتى حاول النساء الحرية المطلقة فكأنهن يخرجن بلا خمار ، على أنهن بعد هذا خرجن بلا براقع وأحياناً بدون دثار ولا شعار .

والواقع ان النساء بأسرهن عبيدات حواسهن واعصابهن وقلوبهن لا ينجع فيهن اعتراض اذا خالف قانون الطبيعة وأعني الحب . وكان الأديبات منهن اذا مجدن الحب بالمعنى الوجيز يجهلن حب الأمومة على ما تجلى ذلك في مكتوباتهن ، ومع هذا تراهن يتكلفن فيما يسطرن ويتطلبن الى حواسهن وقلوبهن ان تعطى اكثر مما لها ، وما كتب لهن الا أن يكنّ ادوات تحس وتهتز وان يجعلن من العالم مجموعة احاسيس . واذا فحصت الأدب النسوي المعاصر من حيث الإنشاء تسقط فيه على قرائح عظيمة وعلى نبوغ أيضاً وقلّ ان تقع فيه على شيء اسمه فن . ويقال ان النساء ما عدا اثنتين او ثلاثاً منهن لا يحسنّ التفريق بين المواد التي تتطلبها الحياة ، فمنهن من تجتهد اجتهاداً تنتج به آثاراً طيبة وكثيرات يرسلن اقلامهن على فيضها كما يشاء الهوى لا يحفلن التنقيح ولا سلامة التراكيب ، وفيهن من اتخذن الأدب للسياسة ومنهن من عانين فلسفة الأخلاق ومارسن فن التربية ، وظللن فيها متوسطات لم يأتين بإبداع وجاء أدبهن خالياً من التجدد .

لم يكتب للنساء التفوق على الرجال لأن التدقيق يصعب عليهن حتى ان القصصيات منهن لم يتوخين الا وصف الحب في كل مظاهره جعلنه موضوع لقاصيصهن ولم يعهد ان برزت امرأة في قصة « الدرامة » وما جاء منهن مؤرخة والمرأة تحسن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان تضحك من مثيلاتها ولكنها لا تحسن الاضحاك اما الرجل فيحسن نقد نفسه كما يحسن نقد غيره . والمرأة تحاذر كثيراً من المزاح الذي يأتي على الاعتبار والحرمة والحب ، وهي مجموعة عواطف تحس بالحاجة اليها كل الاحساس وتخشى أن تقع فيها . وكذلك هن في التاريخ فقد نشأ منهن مدونات مذكرات بكثرة وقام منهن قصصيات ومنهن اليوم أستاذات في التاريخ وأستاذات في استخراج المكتوبات والمخطوطات وما جاء منهن إلى اليوم مؤرخة من عيار تيري ولا ميشيليه لأن اللازم للتبريز في التاريخ معلومات كثيرة ليس في مكنة المرأة احرازها ، والواجب ان يكون لها فكر نقاد عار عن كل هوى للتمييز بين الحقائق والظنون ، وعقل مجرب لإدراك ألوف من الروابط تجمع الحوادث بعضها الى بعض ورأي ثابت خال من التفصيل في العواطف وقدرة على النظر نظرة واحدة الى كل عصر ، ولهذا لم ينشأ من النساء عظيمة في باب النقد الأدبي والفني ، ولا كان منهن فيلسوفة تلفت النظر . ومن النساء من كانت لهن مقدرة على الاستفادة من دروس أساتيذهن وليس فيهن واحدة ابتدعت مذهباً وما قام منهن واحدة استطاعت ان تخلف مثل « خطاب في التاريخ » ولا « الأفكار لباسكال » فهن قاصرات في جميع الفروع التي تستلزم من المؤلف التجرد المطلق من نفسيته وما لمعت اعمالهن الا في موضوعات لا فنّ فيها وقلائل منهن من كتب لهن التفوق في الإنشاء والكتابة دون ارشاد الرجال لهن فان « مدام لا فايت ، أشرف عليها « سكرى » و « لا روشفو كولد » ، و « مدام دي ستال » سارت بسيرة اصحابها العديدين ، و « جورج صاند » قادها عشاقها و « مدام كوليت » راقب أعمالها « فنيلى » .

لم تتح مواهب النساء الطموح لهن الى منزلة في الأدب المجرد وشهدنا آثارهن أحياناً خالية من الصنعة ، فصح ان يقال ان ليس لهن قدرة على التفكير الصحيح والتوسع اللازم لوضع الفكر المجرد والانشاء الفني ولم يكتب للنساء درجة عالية حتى فى فن الطهي ورأينا كبار الطهاة من الرجال لا من النساء ، وتراهن في باب الأزياء ، والأزياء من أخص خصائصهن يتكلن على غيرهن في باب التجمل فهن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيضاً مقودات بأيدي الرجال بل ان النساء الملكات كما لاحظ باريه دورفيلي قد فقدن البداهة والعمل الذاتي وما ساعد اليزابت الانكليزية الا بوروليخ واذا ذكرت كاترين الروسية ذكر معها بطرس الأكبر . قال إن اعطاء الحقوق السياسية لم ينتج منه الاصلاح المنشود في شمالي اوربا وفي اميركا واوستراليا حيث أخذ النساء يتمتعن بحقوق الناخب والمنتخب . ففي الدانيمرك لم يأت النساء بشيء احسن مما كان لتلك البلاد يوم كان نساؤها يسلمن للرجال بمقاود الأمور ولم يقفن على الغول (الكحول) في بلاد السويد والنرويج وفنلندا واوستراليا والولايات المتحدة أما الفحش فكثير جداً في هاتيك الممالك مشوباً برياء وتصنع .

خرج المتعلمات في الجامعات الأميركية من البيوت الفقيرة وأظهر الفتيات في فرنسا وغيرها اجتهاداً في طلب العلم وقد يتعلمن بدعة وسرعة كل ما يتطلب اجهاد الذاكرة وقد يبرزن في المسابقات ولسن كذلك عندما يخرجن الى الحياة ويضطررن الى القيام بأمر يحتاج الى تفكير وشخصية وصحة حكم . وقل ان ينجحن في المحاماة والطب وقل ان يقبل ارباب المصالح على توكيلهن في القضايا أو استشارتهن في الأمراض . ومن تزوج منهن من رجال لهم مثل صنعتهن كأن تتزوج الطبيبة من طبيب والمحامية من محام لم يحمدن غبّ زواجهن لأن التفاوت في قريحتي الزوجين يؤدي الى ان تحسد الزوجة زوجها على توفيقه في عمله فتبغضه وتشنأه .

وثلث المتعلمات في اميركا لا يظفرن بأزواج . وكلما احرزن شهادات تخوف الرجل الاقدام على التأهل بهن . وثبت ان من تزوجن في فرنسا لم يقدمن على الزواج الا بعد سن الثلاثين وأحياناً في الأربعين وكان معدل العقم من هذا الزواج تسعة وثلاثين في المئة لا تنسل صاحبته ولا تلد .

أخذ بعض النساء بعد الحرب العامة يرجعن في فرنسا عن تعاطي المحاماة والطب وأثبت الموظفات منهن في الادارات الحكومية والخصوصية ان المرأة عندما تجلس وراء كوة او نافذة للقيام بعملها تصبح اشبه بالحيوانات المفترسة وكانت خارج عملها من الساحرات الفاتنات بلطفها وظرفها . قالوا ان النساء اذا شاركن في السياسة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يدمثن الأخلاق ويبطلن الحروب ويشرعن تشريعاً انسانياً اكثر من تشريع الرجل والواقع خلاف ذلك لأن من الموظفات من اذا رُضخ لهن بشيء من المال يبسمن ويغيرن معاملتهن فما بالك بجمالهن اذا عرضت على الواحدة منهن المئات ؟ ومن تولين أعمالاً لا شأن لها كثيراً لم ينجحن النجاح المطلوب ومن نجحن كن بتراكيبهن الجسمية اشبه بتراكيب الرجال من حيث العضلات والقوى . وما نجح النساء في تولي الحكومات لو لم يكن لهن مؤازرون عظماء من الرجال يعملون كل شيء وينسبون ما عملوا للملكات . واذا رجعنا الى تراجم الملكات والأميرات نجد كثيرات منهن على جانب من التهتك والخلاعة وما تعففن عن غمس أيديهن بالدماء ، ويكون ذلك احياناً لمآرب لهن وللتخلص من رجال تمتعن بهم ثم أردن الغاء ذكرهم . واذا أردنا ان نذكر شهيرات النساء في الأدب لا نرى غير الرجال يعملون لهن من وراء ستار على الأكثر ، وما تركت فيه المرأة وشأنها من الآثار الأدبية كان الى التفاهة والفهاهة .

قال ولقد رأينا محاميات انقلبن خادمات في البيوت ولدينا براهين كثيرة على انه خير للمرء ان يحسن صناعة من ان يحمل شهادة حسنة فقد نال كثير من النساء لقب دكتورات في الحقوق فأصبحن كاتبات بسيطات على الآلة الكاتبة ، يتعلم النساء علماً كثيراً ولا يعرفن احتياجهن الى كسب قوتهن .

قال برودون ان المرأة التي تبتعد عن جنسها تسقط الى مستوى انثى مهذارة وقحة كسلانة خائفة خالعة مسممة وهي طاعون أسرتها والمجتمع . وقال لو كوفيه لن المرأة الطبيبة يتقزز منها والمرأة التي تتولى كتابة الصكوك يضحك منها والمرأة المحامية يفزع منها . وكان اوجست كونت يعرف النساء كثيراً ويغرم بهن كثيراً ويخالف في تحريرهن ويعرف انهن ما عدا القليلات منهن جداً لم يخلقن للعمل ولا للحرية ولا لتحمل التبعات . ويقول جوزف دي مستر في كتاب له الى احدى بناته ان ڤولتير يدعي ان النساء قادرات على ان يعملن كل ما يعمله الرجال وما دعاه الى قوله هذا غير التقرب من قلوب بعض الغواني الفاتنات فالنساء لم يأتين بأثر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يذكر في ضروب الآداب فلم يؤلفن الالياذة ولا الانياد ولا القدس المنقذة ولا فيدر ولا اتالي ولا رودكون ولا الميزانتروب ولا تارتوف ولا زهرة دي دميديسيس ولا ابولون دبلفيدر ولاالبرسة ولا كتاب الأصول ولا خطاب التاريخ العام ولا تليماك ولم يخترعن الجبر ولا المجاهر ولا المناظر ولا مضخة النار ولا صناعة الجوارب الخ وما قامت امرأة عالمة جديرة ان تعد بين العلماء فالمرأة ليست في حال تستطيع ان تفوق فيها الرجل الا بأنوثتها وليست سوى قردة اذا أرادت المساواة بالرجل ٠

قال المؤلف الذي نقلنا عنه هذا : أيتها المرأة انك مهما فعلت مسوقة بنابل من الكبرياء وبعوامل اكرهتك على خوض غمار ازمة هذه الأيام لتخرجي من حظيرة جنسك وتقطعي صلتك بعملك الأبدي السامي لن تكوني الا صاحبة وزوجة وأماً ، واذا أنسيت رسالتك فان الطبيعة ستتولى عاجلاً أو آجلاً تذكيرك ان الأقدار ما خرجت بك الا لتكوني شريكة الرجل وأم أولاده وجزءه المتمم ونصفه ، وأحياناً الموحية اليه والمنقذة له ٠ انت ابداً مهد الآلام البشرية وستظلين على ذلك الى يوم البعث والنشور ٠

سيداتي سادتي كنت ولا أزال ظهيراً للمرأة محباً لإنصافها آسفاً للاستعباد الذي حاق بها محاولاً تعليمها كل ما يرفع من شأنها داعياً لإمتاعها بحجابها الشرعي ذاهباً الى ان تخلف المرأة المسلمة عن الأخذ بحظ من التهذيب قذف بالمسلمين من حالق المدنية الى هاوية الانحطاط ، وما طلبت اعطاء المرأة زيادة على حقها قط ، وما جوزت لنفسي ان أخدعها واتملقها توقعاً لرضاها ، وكنت وما برحت على مثل اليقين ان من يعاون المرأة على مساواة ، لرجل يخدعها ويضحك منها ٠ وصديقك من صدقك لا من صدّقك ٠

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net